

سيمياء المكان في شعر محمد صابر عبيد
الباحث. حسن علي حسن كاظم / ماجستير، أدب
أ.د. رائدة مهدي العامري

جامعة بابل _ كلية التربية الأساسية _ قسم اللغة العربية

الملخص:

العلامة السيميائية ليست رهين بالملفوظ الشعري فحسب، بل بالعلاقة بين الشكل والمضمون الذي يحمله النص الشعري، إذ يحمل علامات قابلة للتعدد ولا تقف عند دلالة واحدة، إذ استغل الشاعر فاعلية الرموز الدينية والتاريخية والحضارية، للكشف عن جماليات التشكيل المكاني في النصوص الشعرية، وتتعدد الامكنة لدى الشاعر لتحمل إشارات سيميائية ورموز، تحيل المتلقي إلى اماكن حدوث التجربة التي عاشها الشاعر، إذ تعددت الامكنة ولم تتوقف على البلد الأم بل امتدت إلى بلدان مختلفة، وان للأماكن اثرها في النصوص الشعرية وتأثر بالأماكن تأثيراً جلياً إذ تحمل بعض الأماكن النقاء والجمال وبعض الأماكن تحمل الحزن والفرق، وعمل الشاعر على وسم الامكنة بعلامات خاصة، فأمكنة الشمال تحمل جمال الطبيعة ونقاؤها، وامكنة الوسط شملت أسماء أهل البيت والتاريخ القديم والمسلة وقوانينها، إذ عمد الشاعر إلى تسخير فاعلية المكان ودلالاتها في شعرة، جاعلاً المكان انتقالياً ما بين سفر وحنين إلى الوطن، وقد نجد ان الشاعر محمد صابر عبيد قد وظف المكان أجمل توظيف ضمن نصوصه الشعرية ليتخللها نفس سيميائي وصورة بصرية رائعة، إذ اظهرت الدراسة ثقافة الشاعر الواسعة في توظيف المكان وتحويله إلى نصوص تم صياغتها بأسلوب أدبي جميل.

الكلمات المفتاحية : (سيمياء المكان ، شعر محمد صابر عبيد).

The semiotics of place in the poetry of Muhammad Saber Obaid

Researcher: Hassan Ali Hassan Al-Anawy

Supervision: A. Dr.. Raeda Mahdi Al-Amiri

University of Babylon - College of Basic Education - Department of Arabic
Language

Abstracts:

The semiotic sign is not only dependent on the poetic word, but rather on the relationship between form and content that the poetic text carries, as it carries signs that can be multiplied and do not stop at one meaning, as the poet exploited the effectiveness of religious, historical and cultural symbols, to reveal the aesthetics of spatial formation in Poetic texts, and the poet has many places that carry semiotic signs and symbols, referring the recipient to the places where the experience that the poet lived took place, as the places were numerous and did not stop at the home country, but rather extended to different countries, and the places had an impact on the poetic texts and were clearly influenced by the places, as Some places carry purity and beauty, and some places carry sadness and separation, and the poet worked on marking the places with special signs. The places of the north carry the beauty and purity of nature, and the places of the middle included the names of the people of the house, ancient history, the obelisk and its laws, as the poet intended to harness the effectiveness of the place And its connotations in poetry, making the place transitional between travel and homesickness. We may find that the poet Muhammad Saber Obaid made the most beautiful use of the place in his poetic texts, interspersing it with a semiotic breath and a wonderful visual image. The study showed

the poet's extensive culture in using the place and transforming it into texts that were formulated. In a beautiful literary style.

Keywords: (Semiotics of place, poetry of Muhammad Saber Obaid)

سيمياء المكان

المكان لغة :

أورد بأنه الموضع الحاوي للشيء ، وهو اجتماع جسمين ، حاو ومحوي والحاوي محيط بالمحوي ، والمكان هو المناسبة بين هذين الجسمين ، وعند الراغب : أمكنة كقذال وأقذلة ، وأماكن جمع الجمع ، وقال ثعلب : يبطل أن يكون فعالاً لأن العرب تقول : كُن مكانك وقم مكانك ، فقد دل هذا على أنه مصدر من مكان أو موضع منه ^(١)، وقد ذكر في كتاب العين : المكان في اصل تقدير الفعل مفعل ، لأنه موضع للكينونة ^(٢). قال ابن سيده : والمكان الموضع والجمع امكنه ، كقذال ، أقذله ، وأماكن، جمع الجمع ^(٣)، إن استعمال صيغة مَفْعَل بمعنى مَوْضِع يوفي بنوع من التحديد لموقع الشيء، بالنسبة إلى أشياء أخرى، وهذا ما يعطينا معنى اقرب إلى المفعولية، من معنى الفاعلية، والمفعولية تأخذ باستمرار استعداداً من نوع ما، لوقوع حدث أو فعل من نوع ما، أي تقبل وجود شيء فيه، أو عليه، وهو معنى الصق بالسكون من الحركة، والسكون ادنى مرتبة الى المكان، مقارنة بمعنى الفاعلية التي تقترب من الفعل، الحدث نفسه وليس الظرف الذي يحدث فيه، وبذلك تكون صيغة "مَفْعَل" الاقرب إلى المفعولية منها إلى الفاعلية، قد حققت صحة استعمالها، في كونها موضع لكينونة الشيء ^(٤)، أي أن يكون المكان فعالاً.

المكان اصطلاحاً :

يعد أول ارتباط للإنسان بالمكان هو ارتباط الإنسان برحم امه منذ ان كان نطفه فعلاقة فمضغة حتى اكتمل تكوينه وارتبط بالعالم الخارجي ، إذ تحمل كلمة المكان الكثير من الدلالات ودخلت في العديد من الميادين منها العلمية والادبية وحضي المكان باهتمام النقاد قديما وحديثا ، ويمثل المكان دورا اساسياً في ونظرية الادب ، ويعد للمكان دوراً في الوجود الانساني ، لان الاشياء والاجسام تمثل حيزا معيناً ، ولا يمكن لشخصية واحدة ان تشغل مكانين في زمان واحد .

كون المكان يأخذ طابعا ميثولوجيا ، وينقسم الى " السماء والارض والعالم السفلي ، وهي مأهولة بالآلهة والبشر والاموات على التوالي ، وان المكان سابق على الزمان والحركة ، لان الجسم يوجد اولاً في المكان ثم تحدد طبيعته الحركية والزمانية فيما بعد ^(٥) ، ويرى افلاطون ان المكان غير مستقل عن الاشياء ، بل يتجدد ويتشكل من خلالها ^(٦) ، و المكان هو حيث الثقلي الاثنان : المحيط والمحاط به ، وهو ما ماس من سطح الجسم الحاوي ، وانطباقه على الجسم المحوي ^(٧) ، وان المكان هو كل ما يكون خاصا بالشيء ولا يكون لغيره ، فلا يخلو اما ان يكون داخلا في ذاته ، أو خارجاً عن ذاته ^(٨) ، ويتضح أن المكان اكثر التصاقاً بحياة البشر من حيث خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه له تختلف عن خبرته وإدراكه للزمان ، لان إدراك الزمان غير مباشر اما إدراك المكان فيكون حسياً مباشراً ^(٩) ، حيث ان البعد والقرب والارتفاع والانخفاض ، علاقات تربط الانسان بما يحيط به ، و أن الشاعر المتأمل يستطيع أن يكتشف الصلة بينه وبين واقعه عن طريق ارتباط الاثنين بمفهوم التقدم والتطور والحركة ، وأن المكان يرفض أي تصورات لا تربطه بالحركة ، أي انه يجب ان يكون هنالك تواصل بين فكر الشاعر وفكر المادة الممنوح عبر تراكيبها ^(١٠) ، أي ان المكان ارتباط تصورات المكان بفكر الشاعر .

حيث الاديب يبتدئ مع الأشياء التي جرت عليها التجربة ، وكل مكان مدان ما لم تجري عليه خبرة الانسان ، فتاريخ المعرفة هو تاريخ العلاقة بين الإنسان والأشياء التي اختبرها و على الشاعر ألا يختار امكنته واشياءه إلا بعد الخبرة بها أو التجربة على ارضيتها ^(١١) ، فيتحول المكان ليكون رمز متخيل فعلي ليتناول احداث نقف عندها .

والعلاقة الجوهرية التي نراها والتي تخص المكان هي علاقة تبادل فقد تحمل الاماكن والاشياء بصمات الناس عليها لتؤثر على مرحلة قادمة أي بعلاقة تبادلية بين تأثير الانسان على الاشياء وتأثير الاشياء على الانسان ^(١٢) ، أي ان العلاقة تكون بين دال ومدلول .

يشكل المكان الادبي من رؤية الكاتب لعالمه ، الناتج عن طبيعة العلاقة بين الفنان ومحيطه ، ذلك أن مهمة الاديب تتمثل في إعادة تشكيل خبراته الحياتية ، والتعبير عنها عن طريق رؤيته للحياة والكون والإنسان ^(١٣) ، وان المكان سواء كان جميلاً او قبيحاً يمثل انعكاس للذات الشاعرة

وان (ارتباط الإنسان بالمكان واحساسه به شيء فطري) ^(١٤) ، و تزداد اواصر ارتباط الإنسان بالمكان ، ويتسع الاحساس بالانتماء المكاني ليشمل الوطن والبيئة فوصفهما مواطن الشعور بالألفة ، وان الادب بما يمتلك من تقنيات له القدرة على الارتقاء من مستويات الجمال والألفة إلى أبراج القداسة الروحية ^(١٥) ، وان تضافر قدسية التعبير مع الألفة النفسية تكشف عن خصوصية ادراك المكان القدسي ، ولا تقف عند الادراك الحسي بل تتجاوزه إلى الشعور بقداسة المكان وروحانيته ، ويزداد الألق الروحاني للمكان المقدس اذا جاء في نتاج الشاعر ذكر للخطاب الديني في القصيد والتي يكتف فيها الصور الروحانية المكانية ^(١٦) ، يكتسب المكان صفة الالفة عن طريق فاعليته وانعكاسه في النفس ، ليظل ذكرى راسخة لا يمكن محوها ، لأنها علاقة ارتباط وحس عميق ينعكس في الوجدان البشري ^(١٧) ، أي انه ملتقى الاحبة ومجتمع العائلة فيه الدفاء والحنان ، على عكس المكان المعادي .

و يصف الشاعر المكان يقول " المكان جوهرٌ اصيل من جواهر عملي الشعري والنقدي والابداعي عموماً ، وعلاقتي مع المكان وبه علاقة جدلية يستحيل فصلها بأي شكل من الأشكال (١٨) ، و يمنحنا المكان الذي ولدنا فيه السعادة والاسترخاء والدفء " فهو المناخ الذي يعيش الانسان محمي داخله (١٩) ، ويختلف شاعر عن آخر في خصوصية التعامل مع المكان فهو يستطيع احياء الاماكن الاليفة بتعبير مملوء بالذكريات بعالم المخييل وبسعة الاطلاع فيختار الكلمات الابكار للتعبير عن ألفة المكان الذي لا يمكن في أي حال من الاحوال اغفاله من قبل الشاعر، إن الشاعر يصور الأشياء بمنظوره الخاص ليقنع القارئ ويؤثر فيه ، وهنا يجب أن نفرق بين الصدق الواقعي والصدق الفني (٢٠) أي ان الشمس مثلا لها دلالات مختلفة بين الواقعي والفني ، و لقد أشار إيكو في اغلب مصنفاته إلى تعدد الاحتمالات التأويلية للنص الواحد ، باعتبار التأويل هو التفعيل الدلالي لما يود النص البوح به (٢١) ، إذ يعمل الشاعر على تسخير فاعلية السيمياء المكانية ودلالاتها في النصوص الشعرية جاعلاً المكان انتقالياً ما بين سفر وغربة وما بين حنين إلى الوطن وذكريات الطفولة ، ومقاومة الذكريات لتحقيق الأحلام ، إذ يقول في الصياغات المذهبة (الصياغة الأولى)

عراق

وطنٌ يعصى على الرسم،

على الحب،

على الشعر،

فتنسكبُ الخطوطُ،

هشاشةُ الألوان،

عاصفة المرايا،

رعشة الكلمات...

حلماً نافرماً في نُجّة القعر. (٢٢)

يشير النص إلى العراق البلد الأم للشاعر ذلك المكان القدسي مهبط الوحي ومسكن الأنبياء ، اساس الحضارات اول من خطّ بالقلم ، العراق سلسلة الحضارت ، وهو إشارة سيميائية إلى ما كان عليه العراق قديماً ، كونه وطن يعصى على الرسام ان يحتويه في لوحة واصباغ في قطعة فنية صغيرة ، وإن احتواه فقد ظلمه ، ولا يمكن لشاعر ان يتقن وصفه ، إذ أن ذكر العراق إشارة للعلم للأدب وعلامة على الجمال ، هذا قديماً وقبل ان تنسكب الخطوط وينكسر شراع العراق ، فبعدها عاثوا في العراق فساداً ، بعدما كانت بغداد المعلم الأول اصبحت الان ازقتها تفوح برائحة الجهل والظلم ، وهشاشة الالوان إشارة سيميائية لضعف البلاد بسبب جبروت السياسة ، فقد ضربتها عاصفة الاحتلال والارهاب لتوقف نبض الكلمات ، ليكون صفاء العراق وعودته إلى ما كان عليه امرٌ محال ، كذلك الحلم الذي غار في ظلمات بحر لحي لا يمكن أن يتحقق ، وينتقل في صياغته إلى حلب (سوريا) وما لها في النفس من أثر إذ يقول في قصيدة (الصياغة الأولى)

حلب

فندق يحرسه ليلٌ أمينٌ،

فندقٌ يقضمُ سأمَ العابرين، (٢٣)

تتجلى في النص الإشارة السيميائية لتلك المدينة (حلب) الواقعة شمال سوريا واكبر المحافظات تعداداً للسكان عاصمة لمملكة (يمحاض الأمورية قديماً) وقد ذكر اسمها في الالواح المسمارية في

بلاد الرافدين ، يتضح هذا الارتباط العلائمي بين بلاد الرافدين وسوريا و قدم تلك المدينة ، يشير الشاعر لفندق يقع في حلب المكان الواقعي ، يتمتع بالهدوء والراحة والسكينة (ليلاً اميناً) إشارة سيميائية لأيام الشتاء الباردة الطويلة ، فندق يوفر كل ما يحسن مزاج الزبون ، ويطيح بهموم من يحط الرحال عنده ، منتقلا من حلب إلى آشور والكهنة وقال في قصيدة (يوميات جواد طاعن في العشق)

معبدٌ تمردت عليه التماثيل..

فاستقال الإله،

واتحدَ الكهنةُ في آخر صلاة..

تسافرُ نحو السماء،

هبطت المسراتُ،

وانسلَ طيفُ امرأةٍ فانتة..

من شرفة آشور بانيبال. (٢٤)

يتجلى العشق في يوميات جواد طاعن أهو طاعن في العشق أم في السن أم طاعن في الصبر ، قد يكون كثير التودد للنساء ، قد يكون طاعناً في عشق بغداد تلك الحبيبة التي كثر روادها المكان القريب من الشاعر ، ليطغى الهامش على المركز وتتمرد التماثيل ، وهنا تتجلى الإشارة السيميائية بطغيان الهامش (التماثيل) على المركز (الإله) ، فلم يعد الأمر ينبئ بخير بعد إن استقال ملك العلم آشور ، لا ينفع الاتحاد بعد الخلاف الطويل بين البلدان العربية ، وليس كل من يسافر نحو

السماء جميل ذلك المكان الفني الذاتي للشاعر فلم يبقى إلا اللحم الجميل يطلُّ من اعلى شرفة
أشور، إذ قال في (قرصنة عارية)

أربعة

رسمت في أسفل الجدار الأزرق ثقباً،

هربت ثلاثة أشياء كانت معي..

أنت،

وفرغ ياسين،

وظلي..

هين هممت بتهريب ما تبقى..

كانَ الثقبُ الخائنُ جبلاً من كلام معطل...
أخطأتُه الخضرُ والماءُ،

يلوحُ في لوعة ذابلة...
للطيور المهاجرة. (٢٥)

تتجلى دلالة الجدار الأزرق الجدار الواقعي في إشارة سيميائية إلى المكان الذي نحس فيه بالأمان لأنه يحمينا من الاخطار والكوارث، يعد اللون الأزرق لوناً مركزياً بوصفه أحد الألوان الأولية الثلاثة التي يمكن رؤيتها من خلال الضوء المرئي إلى جانب كلٍ من الأحمر والأخضر ولهذا اللون حضور

بارز في الذاكرة الإنسان والحياة والطبيعة والحلم والتجربة فالشعر هو السفير التشكيلي المناسب لحركية اللون في الأشياء^(٢٦) ، إشارة لوجود الشاعر في السجن ، إذ أن الجدار الافتراضي أمله الوحيد في التقرب إلى من يحب ولكن الثقب كان إشارة سيميائية على هروبهم من خيال الشاعر ، فقد حُرِمَ ممن يحب حتى في الخيال الحلم ، فبقي في ذلك المكان وحيداً اسيراً مهزوماً في مكان معادي ضيق موحش يخلوا من ابسط الاشياء وهو الحلم ، ليتركه كل شيء مثله مثل جبل هجرته الخضرة والماء متوسلا بمن يمر به لما يقاسي من فرط الاسى واللوعة وقد تخلق عنه كل شيء جميل ، ليعود إلى الشام وطريقها الطويل في قصيدة (عباءة شامية) قال :

في الطريق إلى حلب..

تنسابُ روحُ الأرض تحت سنابك النيات،

والموجُ الذي يصبغُ شعرَ الريح بالحناء..

يدنو من مواويلي وظني واشتھاءاتي.

أكادُ أَلْبُ الحَلْمَ البهِي،

وأصطفي من نشوة البحر اللآلي..

أكادُ أفضُ احلامي،

أعريها،

وأشدد أزرها،

أحرضُها على الصخب المضمخ بالبراءة والجنون،

وأدفعُها إلى تخوم الفُلك..

فالأسماءُ تعبرُ في هدوءِ قُبّةِ البحرِ،

وتروي في فضاءِ الفجرِ زيتوني وتيني.

في الطريقِ إلى حلب..

تنمو القصيدةُ في تفاصيلِ القطارِ الرائحِ الغادي،

ويشرعُ في دماءِ الوجدِ تشرينُ،

كأني اسمعُ اللحنَ الشاميَ الأنيقَ..

يحررُ الأسمعُ ،

يوقظُها على صوتِ الندى:

"يا رايحينِ عه حلب ، حبي معاكم راح..

يحملينِ العنبَ ، تحتِ العنبِ تفاح" (٢٧)

تشير العبارة الشامية إلى اللون الاسود إذ يعد أحد صفاتها و كونها (واسعة وفضفاضة وطويلة) ولكن الشاعر في الطريق إلى حلب لم يكن يقصد تلك الخامة إشارة سيميائية إلى تلك الحبيبة التي اختلفت عن سابقتها بقناع العبارة ، إذ أن اندفاع الذات الشاعرة لذلك المكان الأليف الجميل القريب من النفس ففي داخله بحرٌ هائج من الكلام والمشاعر الجياشة ، وعلى ملامحه هدوء البحر ، إشارة سيميائية لجمال المعشوقة التي تسكن حلب ، وقد كرر الشاعر جملة (في الطريق إلى حلب) مرتين ولم تأتي جزافاً ففي الأولى كان الحلم والتصورات في الذات الشاعرة ، وفي الثانية لقاء الحبيبة

والوصول في اول الصباح، لينتقل بعدها من حلب إلى كركوك في قصيدة (عريسُ الشفق) مرثياً
أخيه قال :

أُتْرَاكَ تَأَلَمْتَ كَثِيرًا؟

أُتْرَاكَ فَقَدْتَ الْوَعْيَ؟

أُتْرَاكَ بَكَيْتَ؟

أُتْرَاكَ تَذَكَّرْتَنَا وَاحِدًا وَاحِدًا؟

أُتْرَاكَ غَفَوْتَ وَمَا بَيْنَ حَاجِبَيْكَ صُورَةُ "رُوضَةٍ"؟

أُتْرَاكَ أَشْعَلْتَ كُلَّ وَجُوهِ الْحَبِيبَاتِ،

وَأَحْرَقْتَ كُلَّ الرِّسَائِلِ؟

هَلْ جَفَتِ شَفَتَاكَ فَأَعْيَاكَ الظَّمَا الْغَادِرُ؟؟؟

لَا يُصْطَادُ الْحُرُّ الطَّائِرُ مِنْ مَنْقَارِهِ.

أُتْرَاكَ نَسِيتَ كُلَّ الْعَنَاوِينِ،

وَأَتْلَفْتَ كُلَّ الْأَغَانِي الْفَسِيحَاتِ؟

أُتْرَاكَ لَوْنَتَ عَشْبِ "دُوكَانَ" وَ "سُوسَةَ" وَ "طَاسَلُوجَةَ"؟

أُتْرَاكَ غَادَرْتَ كَرْكُوكَ عَلَى عَجَلٍ..

لتعرفَ في وجه المنية لحنَ الأجل؟ (٢٨)

يخاطب الشاعر في النص اخيه الشهيد "عبد المنعم" ليعيدنا بإشارة سيميائية إلى اول جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل ، ثم يعود مستقهماً ينتظر جواب وهو على علم بأن أخيه لن يستجيب ولكن من فرط الحزن والأسى واللوعة على اخيه أخذ يسأله في عالم الخيال ، يجسد الصابر في قصيدة عريس الشفق حال اخ الشهيد وابن الشهيد وامه وكل من يمت له بالصلة من احبابه ، علامة على المأساة التي مر بها العراق من حروب وفتن ، (ويصف الامام علي (عليه السلام) حكام الجور فيقول : الوزراء خونة والجباة ظلمة والقراء فسقة والعلماء فجرة)^(٢٩) ، فقد حكم العراق هذا الصنف من البشر وعاثوا فيه فساداً ، إذ تكررت كلمة (أتراك) اشارة على الجزع والحزن وانهيال القائل شيئاً فشيئاً وكأن صوته يخفت ودموعة جارية مع كل لفظه اتراك ، (الألفاظ يمكن أن يتكرر بعضها الآخر ، لكن هذا التكرار لا يخلو من تعديلات ، وإن التكرار ليس تكرار وحدة مطابقة لذاتها ، فقد تكون مطابقة للشيء ومختلفة عنه في نفس الوقت ويكون الاختلاف على مستوى الملفوظات) ^(٣٠) ، يصور الشاعر المشهد الذي يمر على الإنسان عندما يموت، ثم ينتقل الصابر إلى سيمياء الدم إلى المكان الذي استشهد فيه عبد المنعم ، وتلك الأعشاب التي ارتوت من دماء الشهيد (دوكان، سوسة، طاسلوجة، كركوك) لينتقل الشاعر بين تلك الاماكن التي كان يشغلها عبد المنعم ، ثم ينتقل إلى الموصل وما حدث بها قال في قصيدة (كلام الماء)

الشمسُ التي بزغت بعتةً من أبو ظبي..

غمرت الموصل بالرماد،

فصامَ سكانها - رغماً عن أفواههم - ليلَ نهار. ^(٣١)

يشير النص أن للشمس الأثر الواقعي الذي تحدثه العلامة السيميائية في الذهن، كما هو معروف إن الشمس تبرز من المشرق، فقد حملت الشمس إشارات سيميائية لم تعطى بطريقة مباشرة ، نجد ان هنالك إشارة سيميائية على بزوغها من ذلك المكان ففي بعض الاحيان تمثل الدفء والحنان ولكن في بعض الأوقات علامة على النار، فالشمس التي بزغت من ابو ظبي سوداء متمثلة بالإرهاب والقتل والترويع وهتك الأعراض ففعلت ما فعلت في البلاد وكان للموصل النصيب الأكبر من الخراب ، بعد إن كانت المكان الجميل الاليف تحولت إلى رماد وحطام، مكان غير صالح للعيش، إذ إن الصيام فريضة في الدين الإسلامي طقوس تمارس في النهار (الامتناع عن الاكل والشرب والمنكر) ولكن سكان الموصل مارسوا الصيام ليل نهار بسبب ما حل بمدينتهم من خراب وتهجير وجوع وقتل فقد اختلت الموازين وانتهكت الحرمات واستبيحت الأعراض، ولم يقف الأمر على الموصل فقبلها كانت فلسطين ولا تزال إذ قال في قصيدة (كلام الماء)

قهوة محمود درويش..

قضية مندمجة بفلسطين..

رائحة وشكلاً ونكهةً وفضاء..

لا بديل لها مهما اشتدت النوائب وطفح الكيل،

لا بديل لها في السلم وفي الحرب،

في الكره وفي الحب،

أول النهار،

آخر المرأة..

ق ه و ة (٣٢)

تتجلى العلاقة بين محمود درويش والقهوة التي لا يمكنه مفارقتها ، إشارة سيميائية لعلاقة الإنسان العربي بفلسطين ذلك البلد المحتل وأول قبيله للمسلمين ، فمرارة القهوة واصالتها ، إشارة لمرارة القضية الفلسطينية واثرها ، ذلك المكان الذي ألف الصراع والتقاتل المكان الأليف الذي انتزعت منه الألفة جبراً ، فهي تحمل كل صفات القهوة العربية من رائحة زكية وأثر في النفس ففيها بيت المقدس وإن كانت مظلمة ليلٍ نهار يوماً ما ستعود لأحضان الفنجان العربي مهما طال الزمن أو قصر، ثم ينتقل إلى فان إذ يقول في قصيدة (ازدهار المحنة)

أنتَ الظاهرُ ، والمعجزةُ همسٌ محبوبٌ،

أنتَ الشاعرُ ، والمعجزةُ نخلةٌ عاجزةٌ،

فاصحب نفسكِ فرداً في متاهة العقيق،

(لا تجد أحدا)..

واصل محنتك القاسية أيها الصعلوك البهي،

فما بين (van) حيثُ تكتبُ الطبيعةُ سيرتها برفاهة،

و(الموصل) حيثُ تتهجي حرفاً مُعاقاً في الأبجدية..

جبلٌ مؤنثٌ (مُعولٌ عليه) محفوفٌ..

بالثلج،

والغيم،

والضباب،

جبلٌ.. كأنه آخِرُ ما صنعَ الله من جبال،

وتذكر. على سبيل الوحشة . الحلاج والسهرودي^(٣٣)

يتجلى النص باظهار الشاعر وحيداً ولا بأس من الاستعانة . حين تلوح الفرصة . بسير ما تيسر... من صفوة الأنبياء والقديسين..، وبذلك النص إشارة سيميائية إلى مضي الشاعر وحيداً ضعيفاً مسافراً ، من مكان لآخر ما بين (van) التركية ذات الطبيعة الخلابة والمناظر الجميلة ، و (الموصل) المدينة الأثرية ذات العلم والمعرفة تلك التي تقرأ كل شيء حتى الحروف المسمارية والمعاقاة في كتاباتها ، بلاد الأنبياء بلاد الحضارات ، لكن سوء الاسرة الحاكمة حولت ذلك البلد إلى ركام ، لتكن بعدها الموصل خاوية على عروشها ، ليعول الشاعر بعدها على الجبل المؤنث تلك المرأة القريبة إلية يلجأ إليها هرباً من البرد والمطر وما تخفي الأيام ، لتكن بعين الشاعر أجمل ما خلق الله تعالى (من عزلة له بعيداً عن الناس) ، وفعل الشاعر كما يفعل الصوفية امثال الحلاج و السهرودي ، في الزهد بالدنيا والتقرب إلى الله والأنبياء والقديسين ، ومن بعدها ينتقل بين الامكنة (القاهرة - الجزائر - اسطنبول - دبي) وفي قصيدة رؤيا (١٣) قال :

رؤيا (١٣)

لم يتوصل بالنيع كما كان يحلم،

منعته الأعاصيرُ من زيارة بيت النخلة،

وظلَّ طعمُ الرطبِ الجني..

عالقاً في شفتيه...

إلى أجل غير مسمى.

ثمة فنادق أخرى ، في القاهرة،

والجزائر، وبيروت، ونزوى ، ومسقط ، واسطنبول،

والدوحة، والشارقة ، ودبي ، لا معنى لها ..

لأنها لم تحل عيونها...

بنعومة الدفاء الأليف،

وظلت أسرتها خاويةً على عروشها..

مثل أسد نافق...

يهزها البرودُ ، فتبكي يائسةً من شدة الأسى. (٣٤)

يشير كلام الشاعر إلى ذلك المكان الذي توفر فيه النبع وجذع النخلة والرطب الجني ، إشارة سيميائية إلى قصة مريم والمكان القدسي الذي انتبذت إليه ، مكان يحتوي كل سبل العيش ، لكن ذهب مع الخيال فهم لا يملكون القداسة ولن تستوي امورهم ، هاجروا بعدها إلى الفنادق ليسكنوا فيها لوقت قصير ، نجد ذلك الانتقال وتعدد الأمكنة أمر مريب في نفس الشاعر (القاهرة - الجزائر - بيروت - نزوى - مسقط - اسطنبول - الدوحة - الشارقة - دبي) تتعدد الامكنة لكنها لم تعد كما كانت فقد هجرها اصحابها ولم تعد بنفس ما كانت عليه من الراحة ، إذ يترك تلك الاماكن مهاجراً وقال في قصيدة (ورقة الفاتحة)

سأهاجرُ نحو وطني الملتبس على ورق الخريطة الصقيل ،

وأنسى حقيقةً التراب..

لأعيدَ تركيبَ وجهي وأجمعَ حروفَ أبجديتي...

حتى يكونَ بوسعي الخروجَ من شرنقة اللحم المتكور في عُمتي،

وأبحرَ مخموراً في سفينة نوح حاملاً كلامي الأخير.

السفينة ضيقةٌ للغاية..

ليسَ فيها سوى مقعد واحد،

وعليك إذا ربحت خيارَ السفينة...

على الغرق في موسيقا الفراغ..

أن تجلسي في خاصرة عشي...

هناك في الأعالي.

المسافة ليست طويلةً.. بل طويلةً جداً،

وليسَ ثمةَ جبلٍ جودي نرسوعليه،

قدَرُ السفينة أن تظلَ مبحرةً في متاهة الأفاق،

حُصني هو جنتك.. وكلامي سلوانك..^(٣٥)

يعد وطن الشاعر هو المكان الذي يجد فيه الراحة ، فقد استهل الشاعر النص بكلمة (سأهاجر) إشارة سيميائية لما في الذات من يأس لحال الوطن المزري (إذ يتراجع الوضع الثقافي في بلاد الرافدين لدرجة انه لا يرى ثقافة في العراق) (٣٦) ، نرى إن الشاعر قد بالغ في أمر العراق ففي العراق علماء وأدباء وثقافة . يقول الشاعر (السفر هو الحامل الامين والصادق لسفينة الشعر والنساء ، إنه الماء الذي يحيط بسفينة الشعر والنساء من كل جانب) (٣٧) ، فما بين الماء والسفينة والشعر والنساء يكون مكان الشاعر الأليف ، ويستمر الشاعر بالانتقال بين الاماكن في الورقة السادسة إذ يقول

في قصيدة (الورقة السادسة)

من "أربيل" إلى "عمان" إلى "van" ،

يتناثرُ شوقُ البنفسج... حيناً إلى شفة الغيم،

يلتفُ الانتظارُ السحيقُ على لهفة..

تكمُنُ في قلق الروح،

تستبطنُ طلوعَ الشمس من جهة القلب ،

وتحفُرُ في جبهة السماء .. خنجراً أليفاً مُذهباً..

يحجبُ ولعَ الطفل،

وهو يعبثُ مُبتهجاً بخجل المكعبات،

ويفتحُ ثغرَ الجبل الناعس بقلم من نار. (٣٨)

يتجلى في النص الشعري الانتقال بين الأماكن بات دأب الشاعر ، سواء كان هذا الانتقال فني ام واقعي ، ينتقل من البلد الأم إشارة سيميائية إلى أنه اصبح فيه غريباً في وطنه ، إذ ينتقل إلى عمان البلد الذي يجد فيه ما افتقده من هدوء وراحة ، وإن الشاعر قنوع لا يبحث عن الكثير يكتفي بالابتعاد عن الناس وللجوء إلى المكان الهادئ حيث صفاء الذهن وراحة الجسد، إذ يقول في قصيدة

(الورقة السابعة عشرة)

للروح لغةً أخرى

يستسلم فيها اللسان.. لضغط الجسد،

اليدُ المرتجفة.. لحرارة العاطفة،

العينُ المُسبلة.. لهمس النظر.

لغةً تختطفُ اللحظةَ الهاربةَ الغائبة..

لتضعها في مرمى الكلام،

رائحةً مقدسةً تفوحُ من تنور المعنى،

وتسري في خلايا المسافة الغاشمة ، بين قلعتين ...

قلعة أربائيلو الآشورية وقلعة وان ،

تعجن ماء التاريخ برمل الجغرافيا.. (٣٩)

يظهر النص استسلام اللسان إشارة سيميائية للصمت وعدم النطق " لتقف حروف اللغة عاجزة عن التعبير ، ليكن للجسد بوح سيميائي بسبب ما تعرض له من صدمة (اليد المرتجفة) إشارة سيميائية على الخوف و الارتباك والتوتر (العين المسبلة) قليلة النظر لما فيها من داء ، لكن رغم ما يمر به يجد الراحة والمكان الاليف حيث وان (المدينة التركية)، وان تعني الكثير بالنسبة للشاعر يقول " وان الأرض والإنسان والثلج و الطيور المختلفة والهواء النظيف والشمس إشارة سيميائية إلى أنها أجمل الأمكنة التي شاهدها في حياته ، إنها لؤلؤة الشرق التركي بحق ، إذ يقول احتوتني واحتوت أسرتي بحنان أم رؤوب ، مكان بسيط مبتسم^(٤٠) ، فما بين أربائلو والمدينة الجميلة وان قضى الشاعر اجمل الايام مع الاسرة بعيداً عن النزاعات ،ثم يعود لخطاب الحبيبة إذ قال في قصيدة (الورقة الثالثة والعشرون)

الغرفة شعلتُ موسيقى تتموجُ في ماء إيقاعها،

العسلُ يقطرُ متوهجاً من سقفها،

جدرانها تنث عطراً خالداً بكرأ..

لو شمتها كلمة (حرب) لفقدت راءها فوراً،

واعترلت الموت من أجل حياة بريئة..

تتحولُ الطلقةُ فيها إلى قبة.

مرت ساعاتُ السحر على قارات الدنيا،

ومحيطاتها وبشرها وأشجارها وطيورها وأحلامها..

تغمرها بشظايا القبل وسخونة الأحضان.

الغرفة تتسع كي تفتح على سعة الكون،

لا سبيل إلى إيقاف أنهار اللبن والخمر والعسل..

وهي تغزو طفولة المكان،

وتوقظ فيه عيون الحب منذ آدم..

العاشق الأول.

انكشفت الغرفة على نفسها حين خلت.. من نشوتها،

وظل الرقم (202) معلقاً في ذاكرة الرؤيا...

حتى نهار قادم تتجدد فيه ضحكة الضوء. (٤١)

يتجلى المكان بكشف العلاقة بين الشاعر والغرفة التي يقطنها ، إشارة سيميائية لدلالة الغرفة وجمال المكان في نفس الشاعر لما له من وقع في نفسه ، تبقى اللغة الشعرية لمحمد الصابر تحتشد وتزدحم بالفضاءات ، لتصبح الغرفة المتكونة من اربعة جدران الفضاء الرحب الواسع الذي يجمع كل ما هو لطيف ليكن سقفها من عسل لما للعسل من مراحل طويلة ومتعبة في تكوينه فيبذل النحل الجهد الكبير في احضار العسل المصفى ، اشارياً على اتساع سقف الغرفة ليصبح اكبر مما يبدو لما يحمل من دلالات فالمكان هنا يعتبر اسعد الأمكنة في الأرض واقربها للنفس ، و يقترب المكان من الرؤى الطفولية والاحلام الوردية فالذات الشاعرة اخذت تتطلق في خيال الروح لتتصدم بألم الواقع الذي ينتظرها ، لتبقى تلك الاحلام ورقم الغرفة (202) معلقا في فضاء الشاعر ، يحمل رقم الغرفة

دلالات ويرمز إلى الأزواجية ويدخل مفهوم العملة ذات الوجهين في اللعب ، لتدفعك إلى السعي وراء احلامك، إذ يقول على نحوٍ مقارب في قصيدة (قيثارة VAN)

فندقٌ (أتلانتس) في دبي .. يفوقُ الحلمَ ويخترقُ الخيالَ،

فضاءً أسطوري يتحركُ خارجَ حساسية المكان..

سحر الزمن.

تذكرتُ وأنا أدلفُ إليه مساء اليوم..

أن طاقة التخيل حين تبلغُ مرحلة الإعجاز،

تتحولُ إلى حقيقة واقعة.

كففتُ عن الحلم، واقفلتُ بوابةً مخيالي،

وتركتُ لعيني المذهولتين ..

فرصةً السياحةً الباذخة... في عرس معماري،

أجمل من قصيدة، وأرحب من ملحمة. (٤٢)

يظهر الشاعر في النص إشارة سيميائية إلى ذلك المكان فندق النخلة ، لما يحمل من مناظر وطبيعة فهو يقع على جزيرة النخلة المكان والاليف الرحب والشاطئ الرملي فبعد إن كان سكان تلك المدن يعتمدون على الترحال والابل في العيش اليوم يملكون ما لا يستطيع العقل البشري تخيله وكأن الشاعر يصف تلك المدينة التي ذكرت قديماً إرم ذات العماد ، ليصف المكان بالعرس المعماري

إشارة سيميائية على التطور الهندسي في البناء فقد فاق المنظر كل الملاحم والقصور والشعر وقف عاجزاً متحيراً مما رأته عيناؤه .

الهوامش والمصادر:

- ^(١) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ج ٣٦ ، تح عبد الكريم ، مر : الدكتور ضاحي عبد الباقي والدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، ٢٠١١ ، ط ١ ، ١٨٩-١٩٠ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت .
- ^(٢) ينظر : كتاب العين مرتباً على حروف المعجم ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تح د. عبد الكريم هندواوي ، ج ٤ ، ١٦١ ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، د. ط ، د . ت .
- ^(٣) ينظر : معجم لسان العرب : لابن منظور ، مج ١٣ ، دار صادر - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٣ ، ٤١٤
- ^(٤) ينظر : المصدر نفسه ، مج ١٣ ، مادة مكن
- ^(٥) ينظر : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن مجيد العبيدي ، م ت د. عبد الأمير الأسم ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ٧ ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق - بغداد - الاعظمية
- ^(٦) ينظر : المصدر نفسه . ٢٧ .
- ^(٧) المصدر نفسه ، ٣٧
- ^(٨) المصدر نفسه ، ١٠٦ .
- ^(٩) ينظر : جماليات المكان ، جماعة من الباحثين ، ط ٢ ، ١٩٨٨ ، ٥٦ ، دار قرطبة .

- ^(١٠) ينظر : اشكالية المكان في النص الادبي (دراسات نقدية) ، ياسين النصير ، ٢٠ ، ط ٢ ، ٢٠٢٠ ، طباعة دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق - بغداد .
- ^(١١) ينظر : المصدر نفسه ، ٢٢ .
- ^(١٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٢٨ .
- ^(١٣) التشكيل الجمالي للمكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث ، د. ياسر فضل صالح العامري ، ط ١ ، ٢٠١٩ ، ٢٠ ، نور حوران للدراسات والنشر .
- ^(١٤) شعرية المكان والزمان : حافظ محمد جمال الدين ، مجلة علامات في النقد ، ج٥٢ ، م١٣ ، ٥٧ ، ٢٠٠٤ .
- ^(١٥) ينظر : التشكيل الجمالي للمكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث ، ٣٣ .
- ^(١٦) ينظر : المصدر نفسه ، ٣٤ .
- ^(١٧) ينظر : المصدر نفسه ، ٥١ .
- ^(١٨) ينظر : الحوارات الأدبية ١٩٩٠-٢٠١٦ ، تحولات الأرجوان ، محمد صابر عبيد ، ١٤٥ ، ط ١ ، ٢٠١٨ .
- ^(١٩) ينظر : جماليات المكان ، غاستون باشلار ، تر غالب هلسا ، ط ٢ ، ٣٨ ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ .
- ^(٢٠) ينظر : مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، د. عبد القادر أبو شريفة - حسين لافي قزق ، ٥٥-٥٦ ، ط ٤ ، ٢٠٠٨ ، دار الفكر .
- ^(٢١) ينظر : مطاردة العلامات ، د. عبد الله بريمي ، بحث في سيميائيات شارل ساندرس بورس التأويلية - الانتاج والتلقي - ، ط ١ ، ٢٠١٦ ، ١٨٢ ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع .
- ^(٢٢) الأعمال الشعرية ١٩٨٦-٢٠٢١ صياغة جديدة ، محمد صابر عبيد ، ٧١ ، ط ١ ، ٢٠٢١ ، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق - الموصل .
- ^(٢٣) المصدر نفسه ، ٨٧ .
- ^(٢٤) المصدر نفسه ، ١٢٦ .
- ^(٢٥) المصدر نفسه ، ١٣٩ .
- ^(٢٦) ينظر : سيمياء الكلام الشعري ، محمد صابر عبيد ، ٣٣-٣٥ ، ط ١ ، ٢٠٢١ ، دار ماشكي للنشر والتوزيع - العراق .

- (٢٧) الأعمال الشعرية ، ١٤٤ .
- (٢٨) المصدر نفسه ، ١٥٠-١٥١ .
- (٢٩) بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر محمد تقي المجلسي، ج ١٨ ، ٣١١ ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- (٣٠) مطاردة العلامات، د. عبد الله بريمي ، ١٧١ ، ط ١ ، ٢٠١٦ ، دار كنوز المعرفة .
- (٣١) الأعمال الشعرية ، ٢٢٧ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ٢٣٢ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، ٣٠٠ .
- (٣٤) المصدر نفسه ، ٣١٠-٣١١ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ٣٢٨-٣٢٩ .
- (٣٦) ينظر : الحوارات الأدبية ١٩٩٠-٢٠١٦ تحولات الأرجوان ، محمد صابر عبيد ، ١٥٠ ، ط ١ ، ٢٠١٨ .
- (٣٧) ينظر : الحوارات الأدبية ، ١٥١ .
- (٣٨) الأعمال الشعرية ، ٣٣٤ .
- (٣٩) المصدر نفسه ، ٣٤٥ .
- (٤٠) الحوارات الأدبية ، ٢٦٣ .
- (٤١) الأعمال الشعرية ، ٣٥٨-٣٥٩ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ٣٦٩ .